

الفصل الثالث

دراسة المخطوط دراسة تحليلية موضوعية

ويحوي ستة مباحث :

- المبحث الأول : منهج الشوكاني في التفسير .
- المبحث الثاني : منهج المؤلف في تفسير هذا الكتاب .
- المبحث الثالث : مصادر المؤلف في الكتاب .
- المبحث الرابع : مقارنة بين ما كتبه الإمام الشوكاني في تفسير سورة العصر من كتابه : فتح القدير ، وما كتبه في هذا المصنف .
- المبحث الخامس : العلوم والمسائل التي تكلم فيها أثناء تفسيره .
- المبحث السادس : التعريف بسورة العصر .

المبحث الأول

منهج الشوكاني في التفسير

يمتاز تفسير الإمام الشوكاني بنقولاته الكثيرة من كتب علماء التفسير ومن تفاسير المحدثين واللغويين وكتب أحكام القرآن، فهو وإن عاش في بيئة زيدية تعتمد على أغلب كتب المعتزلة، ولا تهتم بما سواها إلا القليل فقد باينهم، وجعل للسلف قصب السبق من حيث صفاء العقيدة ووضوح المنهج^(١). وسوف أذكر هنا مصادره التي اعتمد عليها ونقل منها أثناء تفسيره، ثم طريقته التي سار عليها في تفسيره للآيات.

أولاً: المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره:

وهذه المصادر تختلف بحسب الفنون التي ضمنها تفسيره، وإليك بيانها كما يلي:

أ- مصادره في التفسير:

١- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١)، ويعتبر تفسير عبد الرزاق من التفاسير المهمة التي اعتمد عليها الشوكاني^(٢).

٢- تفسير عبد بن حميد (ت ٢٤٩)^(٣).

٣- ابن جرير الطبري محمد بن جعفر (ت ٣١٠) وكتابه: جامع البيان أصل التفاسير، وعمدة الشوكاني الأول في الرواية^(٤).

٤- تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧)^(٥).

(١) الغماري، الإمام الشوكاني مفسراً (ص ١٠٧) بتصرف.

(٢) الزركلي، الأعلام (٣/٣٥٣).

(٣) الزركلي، الأعلام (٣/٢٦٩).

(٤) الزركلي، الأعلام (٦/٢٩٤).

(٥) الزركلي، الأعلام (٣/٣٢٤).

- ٥- الزمخشري محمود بن عمر (ت ٥٣٨) وكتابه: مفاتيح العيب^(١).
- ٦- ابن عطية عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٠) وكتابه: المحرر الوجيز^(٢).
- ٧- القرطبي محمد بن أحمد (ت ٦٧١) وكتابه: الجامع لأحكام القرآن، وقد اعتمد عليه الشوكاني كثيراً^(٣).
- ٨- تفسير أبي حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥)، واعتمد عليه الشوكاني عند تعرضه لإعراب الآية^(٤).
- ٩- ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) وكتابه: تفسير القرآن العظيم، وقد اعتمد عليه كثيراً، وقلده في تصحيح الأحاديث وتحسينها^(٥).
- ١٠- تفسير السيوطي عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١) وكتابه: الدر المنثور، وغالب مرويات الشوكاني جمعها من هذا التفسير^(٦).

ب- مصادره في الحديث :

- ١- مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١)^(٧).
- ٢- سنن سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت ٢٢٧)^(٨).
- ٣- مصنف ابن أبي شيبة أبي بكر (ت ٢٣٥)^(٩).
- ٤- مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤٢)^(١٠).

(١) الزركلي، الأعلام (٥٥/٨).

(٢) الزركلي، الأعلام (٢٨٢/٣).

(٣) الزركلي، الأعلام (٢١٧/٦).

(٤) الزركلي، الأعلام (١٥٢/٧).

(٥) الزركلي، الأعلام (٣٢٠/١).

(٦) الزركلي، الأعلام (٣٠١/٣).

(٧) الزركلي، الأعلام (٣٥٣/٣).

(٨) الزركلي، الأعلام (٣٥٣/٣).

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٥٨٦/١٠).

(١٠) الزركلي، الأعلام (٢٠٣/١).

٥- مسند عبد بن حميد (ت ٢٤٩) (١).

٦- محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) من كتابه: صحيح البخاري (٢).

٧- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١) من كتابه: صحيح مسلم (٣).

٨- سليمان بن الأشعث السجستاني أبوداود (ت ٢٧٥)، من كتابه: سنن أبي داود (٤).

٩- سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) من كتبه: المعجم الثلاثة (٥).

١٠- محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥) من كتابه: المستدرک علی الصحيحين (٦).

١١- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨) من كتابه: السنن الكبرى، وشعب الإيمان (٧).

ج- مصادره في اللغة :

١- ابن الأعرابي: محمد بن زياد، أبو عبد الله، راوية نسابة علامة باللغة (ت ٢٣١) (٨).

٢- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٣٢٢) (٩) أكثر الشوكاني النقل من كتابه غريب القرآن وغيره.

(١) الزركلي، الأعلام (٣/٢٦٩).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩١).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٢/٥٥٧).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان (٢/٤٠٤).

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان (٢/٤٠٧).

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢).

(٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢).

(٨) القفطي، جمال الدين، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط ١، ١٤٠٦ دار الفكر العربي، القاهرة، (٣/١٢٨).

(٩) القفطي، إنباه الرواة (٢/١٤٣).

- ٣- ابن الضُّريس: محمد بن أيوب (ت ٢٩٤) وهو إمام اللغة والقراءة وغيرهما^(١)، وقد روى عنه الشوكاني كثيراً من فضائل القرآن.
- ٤- ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد (ت ٣٢٨)^(٢) وقد أكثر الشوكاني من النقل عنه من كتابه الزاهر.
- ٥- الأزهري محمد بن أحمد بن طلحة (ت ٣٧٠)^(٣) وقد أكثر الشوكاني من النقل عن الأزهري.
- ٦- ابن دُرَيْد: محمد بن الحسن (ت ٣٢١) له كتاب الجمهرة وغيرها^(٤)، وقد نقل عنه الشوكاني في تفسيره الكثير.
- ٧- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣) اعتمد الشوكاني في تفسيره كثيراً على كتابه الصحاح في اللغة^(٥).
- ٨- النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٧) نقل الشوكاني في تفسيره من الناسخ والمنسوخ للنحاس^(٦).

ثانياً : طريقته التي سار عليها في تفسيره للآيات :

استفاد من المصادر التي ذكرناها سابقاً، فأخذ منها ما يناسب منهجه الذي سار عليه في تفسير كلام الله جل وعلا، وكان هذا المنهج على النحو التالي :

يبدأ ببيان كون السورة من المكي أو المدني، ثم يبين الدلالة على فضلها، ثم يبين المراد من الحروف المقطعة، ثم اللغة، ثم أسباب النزول، ثم القراءات، ثم الإعراب، ثم المعنى الإجمالي للآية، ثم يختم ذلك بالرواية،

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/٤٤٩).

(٢) القفطي، إنباه الرواة (٣/٢٠١).

(٣) القفطي، إنباه الرواة (٤/١٧٧).

(٤) القفطي، إنباه الرواة (٣/٩٢).

(٥) القفطي، إنباه الرواة (١/٢٢٩).

(٦) القفطي، إنباه الرواة (١/١٣٦).

وقد يختلف هذا الترتيب فيقدم ويؤخر.

وقد وقف رحمه الله من المفسرين مواقف متباينة فمنهم من ينتقده، ومنهم من يسكت عنه، وقد ينبه على بعض ما يراه خطأ لبعضهم من دون تجريح، وهذا من ناحية الدراية.

أما من ناحية فن الرواية فإذا تتبعنا الأخبار المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والتي صح سندها قليلة بالنسبة إلى جانب المأثور عن الصحابة والتابعين، ولهذا تفاوت المفسرون في الحكم على بعض الروايات المأثورة بأنها موقوفة أو مرفوعة.

وجرت عادة الشوكاني على عزو الأحاديث المروية والأخبار المرفوعة بعبارات متعددة في كيفية الأداء، فتارة يقول: «روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وتارة: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وتارة ثالثة: «صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم»، ومرة يقول: «روى فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبراً مرفوعاً»، كما يصحح تارة ويسكت أخرى، وأكثر مروياته في التفسير عن ابن عباس ثم عن علي رضي الله عنهم، وتأتي الرواية عن بقية الصحابة بعدهما، وجل اعتماده على تفسير ابن جرير وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم، ومن المتأخرين يعول على تفسير ابن كثير والدر المنثور للسيوطي^(١).

المبحث الثاني

منهج المؤلف في تفسير هذا الكتاب

بدأ المصنف رحمه الله كتابه بمقدمة موجزة بين فيها الغرض الذي من

(١) الغماري، الإمام الشوكاني مفسراً (ص ١٠٧، ١١٣) بتصرف.

أجله أُلّف هذا التفسير المستقل لسورة العصر، وقبل شروعه في تفسيرها، ذكر توطئة ضمنها ما يلي:

أ- عدد آياتها.

ب- هل هي مكية أو مدنية؟.

ج- عِظَم شأنها عند السلف.

د- ذكر من الأحاديث ما يدل في فضلها.

هـ- فسّر البسملة.

و- ذكر بعضاً من الأحاديث في فضل البسملة.

ز- ذكر بعضاً من المواضع التي تُشرع فيها البسملة.

ثم أخذ يورد اختلاف أهل العلم في تفسير بعض الآيات، وفي غيرها من المسائل العلمية، ثم يرجّح بين الأقوال بما يراه راجحاً، مدعماً ذلك بأدلة يستدل بها لما رجحه.

ولقد أسهب رحمه الله في غالب مواضع تفسيره، فهو لا يكتفي بتفسير الآية فحسب، بل تجده يذكر تفسير مثيلاتها من الآيات، ومثال ذلك: الله جل وعز أقسم بالعصر في هذه السورة، فذهب يذكر مواضع القَسَم في السور الأخرى، ولم يرتبها بترتيب المصحف، فذكر القَسَم بالعاديات، ثم المرسلات، ثم النازعات، ثم النجم، ثم البروج، ثم الطارق، ثم الفجر، ثم البلد، ثم الشمس، ثم الليل، ثم الضحى، ثم التين.

وأطال رحمه الله بذكر أقوال أهل العلم، في تفسير بعض الآيات، وبيان بعض الكلمات اللُّغوية، وهذا الأمر يكاد يطرد في تأليفه لهذا المصنف.

ومما يلاحظ عليه رحمه الله الاعتناء بالدليل الشرعي، والوقوف عند مدلوله، وعدم العدول عنه، والتحذير من التقليد، وهذا يظهر واضحاً جلياً عندما يورد في تفسير الآية عدة أقوال، فإذا وجد ما يفسرها من الحديث،

فإنه لا يعدل عنه.

وقد ضمن تفسيره الرد على بعض الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، في مسائل العقيدة خاصة.

ومما يشد الانتباه براعة أسلوبه، حيث يورد سؤالاً يشكل على القارئ، ثم يُجيب عنه بمعلومة يشتاق القارئ لمعرفة، وهذا تجده كثيراً في آخر الكتاب.

وأكثر الأحاديث التي استشهد بها في تفسيره أغلبها في الصحيحين، وإن كانت في غيرهما يذكر حكمه عليها، والعلة التي أدت إلى ضعفها، لكن ليس على الطراد.

وقد يورد المسألة وفيها عدة أقوال لأهل العلم؛ لكنه يكتفي بذكر القول الذي يراه راجحاً صواباً.

المبحث الثالث

مصادر المؤلف في كتابه

أ- كتب التفسير :

ومن أبرز الأئمة الذين نقل عنهم، وقد رتبهم حسب وفياتهم :

- 1- إمام المفسرين، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، من كتابه: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، فقد ذكره أكثر من مرة، وتراه يرجح في بعض المواضع ما رجحه ابن جرير، بل يُصرح بذلك فيقول: وهذا ما رجحه ابن جرير^(١).

(١) انظر: (ص ٨١، ١٠١، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٦، ١٢٧) من هذا الكتاب.

- ٢- الإمام ابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)، من كتابه: تفسير ابن أبي حاتم^(١).
- ٣- الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، من كتابه: الجامع لأحكام القرآن^(٢).
- ٤- الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، من كتابه: الدر المنثور في التفسير بالمأثور^(٣).
- ٥- نقل المصنف من كتابه: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، في مواضع شتى^(٤).

ب - كتب الحديث :

ومن أبرز الأئمة الذين نقل عنهم، ورثتهم مقدماً أصحاب الكتب الستة، ثم بحسب وفياتهم:

- ١- إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، من كتابه: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه^(٥).
- ٢- الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، من كتابه: صحيح الإمام مسلم^(٦).
- ٣- الإمام سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبوداود

(١) انظر: (ص ٨٣، ١٢٦، ١٢٧).

(٢) انظر: (ص ٧٠، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٦، ٨٨).

(٣) انظر: (ص ٧٠، ١٢٦، ١٢٧).

(٤) انظر: (ص ٧٤، ٨٩، ٩٥، ٩٩).

(٥) انظر: (ص ٨١، ٨٥، ٨٦، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٤١).

(٦) انظر: (ص ٧٤، ٨١، ٨٥، ٨٦، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢).

- (ت ٢٧٥هـ)، من كتابه سنن أبي داود^(١).
- ٤- الإمام سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت ٢٢٧هـ)، من كتابه: سنن سعيد بن منصور^(٢).
- ٥- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، من كتابه: مسند الإمام أحمد بن حنبل^(٣).
- ٦- الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، من كتابه: البسمة^(٤).
- ٧- الإمام سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، من كتابه: المعجم الأوسط^(٥).
- ٨- الإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، من كتابه: سنن الدارقطني^(٦).
- ٩- الإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، من كتابه: المستدرک علی الصحیحین^(٧).
- ١٠- الإمام أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، من كتابه: السنن الكبرى، وشعب الإيمان^(٨).

ج- كتب النحو :

ومن أبرز الأئمة الذين نقل عنهم:

- ١- محمد بن الحسن الرضوي الاسترأبادي (ت ٦٨٦هـ)، من كتابه:

(١) انظر: (ص ٧٧).

(٢) انظر: (ص ٨٤، ١٢٧).

(٣) انظر: (ص ١٢٧).

(٤) انظر: (ص ٨٤).

(٥) انظر: (ص ٧١).

(٦) انظر: (ص ٨٥).

(٧) انظر: (ص ٧٧، ٨٣، ١٢٨).

(٨) انظر: (ص ٧١، ٨٣، ٨٤، ١٢٨).

الوافية في شرح الكافية لابن الحاجب^(١).

د- كتب المعاجم اللغوية :

ومن أبرز الأئمة الذين نقل عنهم ، ورثتهم حسب وفياتهم :

- ١- إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، من كتابه: الصّحاح^(٢).
- ٢- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، من كتابه: القاموس المحيط^(٣).

هـ- كتب الشعر :

ومن أبرز الذين نقل عنهم ، ورثتهم حسب وفياتهم :

- ١- كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه ، (ت ٢٦هـ)^(٤).
- ٢- حميد بن ثور بن عبد الله أبو المثنى ، أحد المخضرمين من الشعراء ، أدرك الجاهلية والإسلام ، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه^(٥).
- ٣- عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما (ت ٧٣هـ)^(٦).
- ٤- علي بن العباس بن جريج ، المعروف بابن الرومي (ت ٢٨٣هـ)^(٧).
- ٥- أحمد بن الحسين بن الحسن أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ)^(٨).

المبحث الرابع

مقارنة بين تفسير الشوكاني لسورة العصر في (فتح القدير)

(١) انظر: (ص ١٢٠).

(٢) انظر: (ص ١٠٩).

(٣) انظر: (ص ١٠٩).

(٤) انظر: (ص ١٠٩).

(٥) انظر: (ص ٨٧).

(٦) انظر: (ص ٨٧).

(٧) انظر: (ص ١٣٨).

(٨) انظر: (ص ١٢٩ ، ١٣٨).

وفي هذا المصنف

قبل أن أبدأ بالمقارنة بين الكتابين، لابد من الإجابة على هذا السؤال. هل تفسير الشوكاني لسورة العصر تفسير مستقل بذاته؟ أم أنه مأخوذ بأكمله من تفسيره (فتح القدير)؟. وللإجابة على السؤال أقول:

١- إن تفسير الإمام الشوكاني لسورة العصر في هذا الكتاب، تفسير مستقل بذاته، دلَّ على ذلك مايلي:

أ- قال رحمه الله في مقدمة هذا الكتاب: «فلما كانت سورة العصر على اختصارها...، وكانت مشتملة على فوائد جليلة يستفيدُ بها المبتدئ والمتنهي، ويحتاج إليها المقصر والكامل، أفردتها بهذا التفسير المختصر، ليستفيد المطلع عليه ما اشتمل عليه مما تمسُّ الحاجة إليه وسميته: (النشرُ لفوائد سورة العصر)^(١)».

ب- في أثناء تفسيره لسورة العصر في هذا الكتاب، أحال رحمه الله في بعض المسائل إلى تفسيره: (فتح القدير)، في موضعين^(٢). ولهذا أقول:

- إن هذا الكتاب تأليف مستقل مطول لتفسير سورة العصر، غير تفسيره لها في فتح القدير.

- إن تأليف الشوكاني لفتح القدير، كان قبل تأليفه لتفسير سورة العصر بثمان سنوات^(٣).

(١) انظر: (ص ٦٩) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: (ص ٩٥، ٩٩).

(٣) ذكر رحمه الله أنه انتهى من تأليف، فتح القدير سنة (١٢٢٩هـ)، بينما سورة العصر سنة (١٢٣٧هـ)، انظر: الشوكاني، فتح القدير (٧٤٧/٥)، و(ص ١٤٥)، من هذا الكتاب.

٢- ومع كونه تفسيراً مستقلاً بذاته، إلا أننا نجد الإمام الشوكاني رحمه الله ينقل بعض المباحث كاملةً من تفسيره : (فتح القدير)، ويودعها هذا الكتاب، وإليك أمثلة على ذلك:

أ- عندما شرع يفسر البسملة في هذا الكتاب، نقل ما كتبه في تفسير البسملة من (فتح القدير) إلى هذا المبحث^(١).

ب- وفي أثناء حديثه عن القسم في بداية سورة العصر، بدأ يذكر السور الأخرى التي بدأها الله بالقسم، فذكر العاديات والمرسلات وغيرها من السور، ونقل ما كتبه في تفسيرها في (فتح القدير) إلى هذا الكتاب^(٢).

ج- نقل أيضاً من (فتح القدير) أقوال الأئمة في تفسير سورة العصر، واستطرد في ذلك كثيراً، وزاد عليها، ونقل أوجه القراءات.

د- الأقوال التي رجَّحها في فتح القدير لم يتغير قوله فيها في هذا المصنف.

٣- وخلاصة القول نجد أن تفسير الشوكاني لسورة العصر في فتح القدير، تفسير مختصر جداً إذا ما قورن بهذا التفسير، وأن المؤلف في هذا الكتاب لم يقتصر على التفسير فحسب، بل ضمنه علوماً أخرى متنوعة، ومسائل علمية متعددة، ولعلي أبين بعضاً منها في المبحث التالي:

المبحث الخامس

العلوم والمسائل التي تكلم فيها أثناء تفسيره

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (١/٢٧).

(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير (٥/٥٢٤، ٥٨٢، ٦١٣، ٦٨٢).

سأذكر بعض هذه العلوم والمسائل ، مرتبةً حسب ورودها في الكتاب ، ثم أنقل كلام الشوكاني حولها مختصراً.

أ- ما يتعلق بعلم العقيدة :

سأذكر تحت هذا الفن خمس مسائل :

المسألة الأولى : الله جل وعلا له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته :

الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه سبحانه ، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله جلّ وتعالى^(١).

المسألة الثانية : تفسير الإيمان :

اختلف الناس في تعريفهم للإيمان اختلافاً واسعاً ، فبيّن معنى الإيمان الشرعي بما جاء في حديث جبريل عليه السلام ، ورجّح ذلك.

قال رحمه الله : «وقد اختلف الناس في تفسير الإيمان أصلاً فأكثر وأطالوا في ذلك ، وتنوعت كلماتهم ، واختلفت رسومهم . والذي ينبغي الاعتماد عليه ، والمصير إليه هو ما ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم في تفسيره ، وبيان معناه كما في الصحيحين وغيرهما ، فإنه لما سأله السائل عن الإيمان قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره)^(٢) ، وعند هذا البيان النبوي ، والتفسير المصطفوي يُستغنى عن تلك الحدود التي حدّوه بها ، والرسوم التي اصطَلحوا عليها . وإذا جاء نهر الله بطل نهرٌ مَعْقِلٍ»^(٣).

ثم أخذ يشرح كل ركنٍ من أركان الإيمان ، وفق مذهب أهل السنة

(١) انظر : (ص ٨٩ ، ١٠٥).

(٢) سيأتي تخريجه في موضعه إن شاء الله .

(٣) انظر : (ص ١١٢).

والجماعة، وأطال النَّفس حول الإيمان بالقدر، وذكر كلامًا جميلًا قلَّ أن تجده عند غيره.

المسألة الثالثة : أصحاب الفترة :

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٢-٣].

حَمَلَ الاستثناء فيها على الاتصال، وتكلم عن أصحاب الفترة^(١)، ورجَّح أنه معفو عنهم، وأنهم لا يحاسبون.

قال رحمه الله: «هؤلاء وإن دخلوا في عموم الإنسان فقد خرجوا بالعفو عنهم لجهلهم بالشرائع، وعدم تمكنهم من طلبها، ولهذا يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]^(٢)».

المسألة الرابعة : دخول العمل في مسمى الإيمان :

بين مذهب أهل السنة والجماعة بدخول العمل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، ورد على المرجئة الذين يفصلون العمل عن مسمى الإيمان.

قال رحمه الله: «واعلم أن هذا النظم القرآني قد دلَّ أكمل دلالة على أن الإيمان الذي هو التصديق لا بد أن ينضم إليه العمل كما هو المذهب الحق، وفيه أوضح رد، وأكمل دفع لقول من يقول: أنه لا يلزم ضمُّ العمل إلى الإيمان كما يذهب إليه بعض المرجئة»^(٣).

المسألة الخامسة : معية الله لخلقه :

(١) الفترة: هي المدة الزمنية بين نبين، والمقصود بأهل الفترة: هم الذين وُجدوا في هذه الفترة. وسيأتي مزيد إيضاح في موضعه بعون الله.

(٢) انظر: (ص ١١٦-١١٧).

(٣) انظر: (ص ١٢١).

ذكر أن معية الله لعباده على قسمين :

أ- معية عامة. ب- ومعية خاصة.

والمقصود بالمعية العامة: «هي التي لا يُخَصُّ منها بعض خلق الله، بل كل أحد من خلق الله جل وعلا معه بالمعية العامة .

وهذه المعية العامة فسرّها السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام: بمعية العلم والإحاطة والاطلاع والبصر والسمع ونحو ذلك.

وأما المعية الخاصة: تُفسَّر بما يقتضي توفيق الله جل وعلا لمن كان معهم معية خاصة، ونصرته لهم وكلاءته لهم وحراسته لهم جل وعلا وعنايته جل وعلا بهم العناية الخاصة»^(١).

قال الشوكاني رحمه الله: «قد ثبت في الكتاب العزيز قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. وهذا يفيد أنه مع جميع عباده؟ قلت: هذه معية عامة، والتي مع الصابرين معية خاصة دالة على أناقة هذه الخصلة على كل الخصال. وأي فضيلة تداني فضيلة من كان الله معه! وأي مزية توازي مزية من هو من

أهل هذه الطبقة الشريفة، والمنزلة السامية! ومثل هذه المعية الخاصة قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فمن جمع بين التقوى والإحسان استحق هذه المعية الفاضلة، والمنقبة العالية»^(٢).

ب- ما يتعلق بعلم أصول الفقه :

ذكر بعضاً من القواعد التي تتعلق بهذا الفن، وهي كما يلي:

(١) آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، ١٤٣٠هـ (١/٣٤٠).

(٢) انظر: (ص ١٣٧).

القاعدة الأولى : الحمل على الغالب مرجح مستقل^(١).

القاعدة الثانية : الاسم الموصول من صيغ العموم^(٢).

القاعدة الثالثة : الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية والعرفية والمجازية^(٣).

القاعدة الرابعة : الأمر المطلق هل يفيد التكرار أم لا؟^(٤).

ج- ما يتعلق بالآداب والسلوك والأخلاق :

الرياء :

قال رحمه الله : «العمل مع الخلوص والتنزه عن شوائب الرياء، والبعد من آفات الغفلة يتضاعف ويكثر ثوابه، ويعظم أجره بخلاف ما لم يكن على هذه الصفة. والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية منادية بذلك بأعلى صوت»^(٥).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال رحمه الله : «ومن أهم أنواع التواصي بالحق أن يتواصوا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(٦).

الغيبة والنميمة والسخرية والتنازب بالألقاب :

قال رحمه الله : «ومن أعظم ما ينبغي التواصي به حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والسخرية والتنازب بالألقاب، فإن هذه أمورٌ نهى عنها الكتاب العزيز :

(١) انظر: (ص ٧١).

(٢) انظر: (ص ١١١).

(٣) انظر: (ص ١١٢).

(٤) انظر: (ص ١٢٢-١٢٣).

(٥) انظر: (ص ١٢٢).

(٦) انظر: (ص ١٣٠).

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾ [الحجرات: ١٢] ^(١).

الأخوة الدينية :

قال رحمه الله: «يجب على أهل الأخوة الدينية لبعضهم بعضاً، أن يحب الإنسان لإخوانه ما يحبه لنفسه» ^(٢).

الصبر :

قال رحمه الله: «الصبر ضد الجزع، والمراد به هنا الصبر على المكاره التي تعرض للعبد في بدنه أو أهله أو ماله، فإن من صبر على ذلك لكونه من قدر الله، وما قضى به عليه كان ذلك صبراً محموداً، ومنه الصبر عن معاصي الله عز وجل، والصبر على ما يقوم به من فرائضه من المداومة عليها وإيقاعها على الوجه المأمور به» ^(٣).

المبحث السادس

التعريف بسورة العصر

سورة العصر على صغرها، وقصر آياتها، إلا أنها حوت في طياتها أموراً عظيمة ؛ لذا يحسن أن نُعرِّف بها، ونقف معها بعض الوقفات:

أ- فضلها :

عن أبي مدينة الدارمي رضي الله عنه وكانت له صحبة قال: «كان الرجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقيا لم يتفرقا، حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر» ^(٤).

(١) انظر: (ص ١٣٠).

(٢) انظر: (ص ١٣٣).

(٣) انظر: (ص ١٣٦).

(٤) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد، في المعجم الأوسط، (ط، د)، ١٤١٥هـ، دار الحرمين، القاهرة

قال الألباني: «في هذا الحديث فائدتان: إحداهما: التسليم عند الافتراق، وقد جاء النص بذلك صريحاً من قوله ﷺ: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، وإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة). وهو حديث صحيح مخرج في "السلسلة" (١٨٣)، و الأخرى: نستفيدها من التزام الصحابة لها. وهي قراءة سورة (العصر)؛ لأننا نعتقد أنهم أبعد الناس عن أن يحدثوا في الدين عبادة يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيف من رسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً، ولم لا! وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليهم أحسن الثناء، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾، وقال ابن مسعود رضي الله عنه والحسن البصري: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم»^(١).
أ. هـ بتصرف.

ب- عدد آياتها وكلماتها وحروفها :

السورة مكّية، آياتها ثلاث، وكلماتها أربع عشرة، وحروفها ثمان وستون، وفواصلها على الرءاء، وهي إحدى سور ثلاث هُنَّ أقصر السور عدد آيات : هي، والكوثر، وسورة النصر^(٢).

ج- ترتيبها بين نزول سور القرآن :

(١) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦ / ٣٠٨).
(٢) انظر: الأندلسي، أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، ط ١، ١٤١٤هـ، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت (ص ٢٨٧)، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز، (ط، د)، ١٣٨٣هـ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١/ ٥٤٢).

عُدت الثالثة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الانشراح،
وقبل سورة العاديات، وعدت في ترتيب المصحف الثالثة بعد المائة^(١).

د- أغراضها ومقاصدها :

اشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك، ومن كان مثلهم من
أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغتهم دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل
التي حذر الإسلام المسلمين منها، وعلى إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا
وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق، وعلى فضيلة الصبر على تزكية
النفس ودعوة الحق، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتخذونها شعاراً لهم في
ملتقاهم^(٢).

هـ- أهميتها :

قال الإمام الشافعي في بيان وشأن هذه السورة: «لو تدبر الناس هذه
السورة لكفتهم»^(٣).

قال ابن عثيمين: «مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث
على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر
على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة»^(٤).

وقال ابن القيم: «فهذه السورة على اختصارها، هي من أجمع سور القرآن
للخير بحذافيره»^(٥).

و- أسماؤها :

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (ط، د)، ١٩٩٧م، دار سحنون، تونس (٣٠ / ٥٢٧).
(٢) انظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز (١/٥٤٢)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٢٧-٥٢٨).
(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، ط١، ١٤٢٠هـ، دار ابن حزم، بيروت (١ / ٢١٦).
(٤) ابن عثيمين، محمد صالح، شرح ثلاثة الأصول، ط١، ١٤١٤هـ، دار الثريا، الرياض (ص ٢١).
(٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، مفتاح دارالسعادة، (ط، د)، (د، ت)، دار الكتب العلمية، بيروت (١/٥٧).

يطلق على سورة العصر اسمان:

الأول : سورة العصر :

سميت بهذا في المصاحف، وفي معظم كتب التفسير، وقد ثبتت هذه التسمية في حديث عبد الله بن حصن أبو مدينة الدارمي رضي الله عنه وكانت له صحبة قال: «كان الرجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا، حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر»^(١).

والشاهد من الحديث أن الراوي سماها سورة العصر.

الثاني : سورة والعصر (بإثبات الواو) :

جاءت هذه التسمية في كلام ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة والعصر بمكة»^(٢)، وفي بعض كتب التفسير، كتفسير عبد الرزاق^(٣)، وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري^(٤)، وتفسير ابن عطية^(٥)، والقرطبي^(٦).



(١) تقدم تخريجه (ص ٥٣).

(٢) أخرجه ابن مردويه في التفسير، كما عند السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط ١، ١٤٢٤ هـ، مؤسسة هجر، القاهرة (٦٩٥/١٥).

(٣) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، ط ١، ١٤١٠ هـ، مكتبة الرشد، الرياض (٣٩٤/٢).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، في الجامع الصحيح، ط ١، ١٤٠٠ هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، كتاب التفسير، (سورة والعصر) (٣٣٠/٣).

(٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (ط، د)، ١٤١١ هـ (٣٦١/١٦).

(٦) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، (ط، د)، ١٩٦٧ م، دار إحياء التراث، بيروت (١٧٨/٢٠).